



نظريّة اعتذار الحضارات

د. أحمد عيساوي

من خلال القراءة السريعة والمحترفة لأصحاب النظريات المطروحة على الساحة الفكرية، وهي نظرية تصادم الحضارات، ونظرية حوار الحضارات، ونظرية تعارف الحضارات، تتبين الاتجاهات الثلاثة التي افرزتها في الساحة الثقافية والسياسية العالمية، حيث يستحيل التواصل المتكافئ والتفاهم الصحيح، والتعايش السوي، والعيش الكريم للأخر الضعيف والمغایر في ظل هيمنة أصحاب نظرية صدام الحضارات، سواء من يتبنتون نظرية حوار الحضارات أو تعارف الحضارات.

- ٧ - موقف هذا الدين وتعاليمه النظرية من العلاقة بالآخر، شعوبها ودولها وحضاراتها، ومدى ايجابيتها أو سلبيتها.
- ٨ - تقييم الواقع والحوادث والسجلات التداعيفية بينه وبين القوى المسيطرة على شعوب الأرض، وموقفه النظري والعملي منها.
- ٩ - تقييم حالة العالم بعد اقتدار المارد الإسلامي على الاطاحة بجميع الدول، وضم سائر الحضارات وهضمها والاعتراف بها وصهرها في بوقته المتميزة.
- ١٠ - تقييم مدى استفادة العالم وشعوبه وحضاراته من سلطان الدولة المسلمة، ومن عطاءات الحضارة العربية الإسلامية.

- ١١ - تقديم حالة الضرر المتأتية للعالم ولشعوبه وحضاراته من هذه السيطرة الحضارية العربية الإسلامية.
- ١٢ - تحمل المسؤولية لكل من ارتكب فظائع وجرائم في حق المقدسات والعمران والبشر الآمنين، بعرض صور تلك الفظائع.

- ١٣ - فتح المجال لتصفح أحداث التاريخ من قبل الدارسين الجادين والموضوعيين، بناء على آثار وحفريات ونقوش ووثائق

- ٤ - تقديم حصيلة علمية تقريبية لعمليات التدافع الحضاري بين تلك الشعوب والحضارات.
- ٥ - ضبط معايير وقوانين العلاقات الدولية بين الحكومات والشعوب والحضارات، وضرورة الفصل العلمي والمنهجي بين تدافع الشعوب، والدول، والحضارات ضماناً لتحديد المسؤولية المباشرة لكل طرف على حدة.
- ٦ - تقديم قراءة علمية ومنهجية للعلاقات الدولية السائدة في القرون السبعة الميلادية الأولى، التي شهدت بروز الدين الإسلامي، وعلاقة المالك والدول باتباع هذا الدين وموافقهم منه.



مبادئ النظرية

وتؤمننا من الواقع في زلل الآنية والانتصار للذاتية وتغلبها على الروح الموضوعية. نقترح الخطوات المنهجية العلمية التالية:

- ١ - تقديم قراءة تاريخية وصفية موضوعية لعمليات التدافع بين الحضارات القديمة السابقة للميلاد كحضارة الحثيين والكلدانين والأشوريين والبابليين والفينيقين.
- ٢ - تقديم أدبيات وقوانين التعامل بين تلك الشعوب والأمم والحضارات.
- ٣ - تقييم سن التدافع وفق معايير تلك الشعوب والحضارات، لا وفق معاييرنا الراهنة.

وعليه يمكن حصر الرؤية وضبطها في النسق المعرفي التالي:

- ١ - نسق الصراع والهيمنة والغطرسة الصليبية اليهودي.
- ٢ - نسق الحوار والتبازن.
- ٣ - نسق التعارف والتواصل الإيجابي.

وفي ظل حالة الانسداد الحاصلة بين أصحاب هذه النظريات، يمكننا وضع لمسات أولية على نسق منهجي جديد، يفضي بنا إلى وضع قراءة علمية لتلاقي الحضارات حول المشترك والراهن والهم والمصير والهدف الإنساني العام.

ويتمثل نسقنا النظري في حمل أصحاب كل نظرية للاعتراض بجملة من المبادئ العامة، والاعتقاد بجملة من المسلمات البدئية المشتركة، الضرورية واللازمة لتجاوز التشرد الحاصل بين أصحاب هذه النظريات، وذلك بتقديم القراءة الموضوعية لتاريخ العلاقات بين شعوب وأمم وحضاريات العمورة في القرون الماضية، وتسجيل حيثيات التدافع الذي اكتفى تلك العلاقات الحضارية، دونما تحيز أو تكرر لوقائع و مجريات التدافع.

* أستاذ الإعلام والفكر في الجزائر

وشهود وكتابات تلك العصور.
١٤- الاستعانة بكتابات
الدارسين المنصفين لحقائق
التاريخ ولوقائع العلاقات
الإنسانية.

١٥- ترك فرصة علمية
ومنهجية ونفسية لأصحاب
النظريات الثلاث لقبول نتائج
التقييم.

١٦- ضرورة تقبل تلك
النتائج، والالتزام بقبولها لتكون
أرضية للتجسير بين سائر
حضاريات الأرض، ولاسيما فيما
له علاقة وطيدة بالراهن المصري
المشتراك لسكان المعمورة، مع
ضرورة احتفاظ كل جنس وعرق
بخصوصياته لمارستها ضمن
منظومته، والتفتح الإيجابي على
آخرين.

قراءة في منهجية المبادئ

إن عرض مثل هذه المبادئ
على أصحاب النظريات الثلاث
يعد خطوة علمية ومنهجية
تفضي بهم إلى تقديم قراءة
مشتركة لها، وستحظى في
اعتقادي بالقبول المبدئي، لكونها
مبادئ علمية مجردة من جهة
ومنهجية عمل موضوعي يفضي
إلى وضع حد للأزمة الفكرية
الحاصلة بين هذه المبادئ
النظريات من جهة أخرى، شرط
أن يستمر الجميع في الانحراف
والحماس لتابعة النتائج، وألا
يتراجع أصحاب نظرية الصراع
وينكصوا على أعقابهم في حالة
الحصول على نتائج مخالفة
لعققادتهم وتتصوراتهم وآرائهم،
ولَا أثبتوه في مدوناتهم النظرية
على أنه هو الاصلاح والانسجام
للتفكير وللعمران البشري في
العصر الحالي.

وبناء على القراءات العلمية
الموضوعية والمنهجية التي يقوم
 بها أصحاب هذه النظريات
 المشتركة لواقع الأحداث
 وتدافع الحضارات، وباجراء
 مقارنات وموازنات وتقديرات
 ومفاضلات عميقية للحقائق
 التي يتأسس عليها عمران تلك
 الأمة والشعوب، ولتأسيساتها
 الحضارية ومستوياتها المدنية
 والمعنوية والعلمية التمكنية،
 تمكن معرفة الحضارة المنتجة
 والإيجابية والمتفضلة على تطور
 وتقدير البشرية من الحضارات
 المستهلكة والمقاتلة من غيرها.
 والكم الهائل من الكتابات
 التاريخية المنصفة التي درست
 حضارات الأمم القديمة السابقة
 ليلاً سيدنا المسيح عليه السلام
 تبين المستوى الحضاري الذي
 بلغته تلك الأمم والشعوب، كما
 تبين مستوى الحضارات الغازية
 والمغلبة كالحضارة اليونانية
 يومها بقيادة الاسكندر المقدوني،
 فاتح ومدمر العالم القديم.

وقد تفضي نتائج القراءة
 بوضع مقارنات رقمية ومبدئية
 وقيمية معاً لحالات التدافع بين
 أمم وشعوب حضارات العالم
 القديم، عبر بوابات الفتح
 الإسلامي للعالم ودواجهه في
 القرن الهجري الأول، السابع
 الميلادي، وعلاقته الوطيدة بنشر
 مبادئه من جهة، وحاجة الأمم
 والحضارات الماسة له ولمبادئه،
 الأمر الذي أدى لوقوع التصادم
 مع الكيانات الحاكمة التي كانت
 تتسم بظلم رعاياها الذين انقلبوا
 عليها، وصاروا اتباعاً حقيقيين
 للدين الإسلامي، تمهدوا
 لأنحرافهم النوعي والكثيف في

وسلم العرب لواء الحياة
 الثقافية والعلمية واللغوية
 والأدبية والترويحية والفنية،
 للعلماء الأعاجم، بل إن الخلفاء
 أنفسهم صاروا من تلاميذهم،

ووضعوا مصير صحتهم
 وأجسادهم وعلاجهم بيد
 الأعاجم، فضلاً عن وصولهم
 درجات الوزارة والرئاسة والحكم
 والحجابة والكتابة والوصاية،
 وذلك بفضل افتتاح المنظومة
 الحضارية الإسلامية على
 سائر شعوب وحضارات الأرض
 عبر الزواج والمصاهرة والتجاور
 في السكني والتأثير والتأثير
 وعلاقة العمران البشري..
 على حد ما ذهب إليه الكثير
 من الدارسين المنصفين الذين
 يجررون الكثير من المقارنات
 على المستويين الأدبي والمادي
 لحضاريات وثقافات الآخر.

وقد تفضل بوضع مثل
 هذه العلاقات العلمية علماء
 ومؤرخون ودارسون محايدين،
 أمثال «غوستاف لوبيون» في
 كتابه الشهير «حضارة العرب»،
 و«زيغريد هونكة» في كتابها
 الشهير «شمس الله تسطع على
 الغرب»، و«روجيه غارودي»
 وسلسلة كتبه الشهيرة عن
 «حقيقة إسرائيل والصهيونية»،
 و«حفارو القبور» و«الإرهاب
 الغربي»، وغيرهم من المنصفين،
 ومن قدمو نماذج مقارنة بين
 الحضارتين العربية الإسلامية
 واليهودية الصليبية في العلاقات
 بين دولة العباسين والغالبيين
 بفرنسا، عهد هارون الرشيد
 وشارل كان، ووصفهم لحالة
 وصحة ونظافة رسّله لهارون
 الرشيد، حيث كانت لعادة في
 الحضارة الغربية ترك الاغتسال
 لسنين أو لشهور عديدة، أو عن
 حالات الفزع والرعب التي ملأت
 بلاط شارل كان وهو يرى الساعة
 التي قدمها له هارون الرشيد
 هدية.
 ولكن السؤال المركزي المتكرر،

هل يعترف الغرب بأن المسلمين أصحاب حضارة كان لها الفضل في إارة العالم؟



هل يقبل الغرب بهذا أم يرفضه؟ وهل يرضى بأن يعترف بأننا أصحاب حضارة كان لها الفضل في إنارة العالم لقرون طويلة؟ أم سيصر على معصيته وغيه في التكير لنا؟ وهل سيعترف بديننا الإسلامي الذي أثبتت حقائق العلم والكتشوفات أنه صحيح وصائب ولا تناقض فيه؟ وهو من عند الله سبحانه وتعالى، لا من عند محمد ﷺ.

وهل سيعترف بجرائمها في الحروب الصليبية في الشرق (١٠٩٥ - ١٢٩١م) وفي الأندلس (١٠٨٨ - ١٤٩٢م) وفي حرب الثلثمائة سنة (١٤٩٢ - ١٧٩٢م) على ساحل جنوب البحر الأبيض المتوسط؟ وهل سيعترف بأكاذيبه وخداعه لحقائق التاريخ، عن اكتشاف العالم القديم، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالحة؟ وهل سيعترف بجرائمها تجاه عبيد افريقيا؟ وهل سيعترف بجرائمها الاستعمارية البشعة التي بدأت مع الكتشوفات الاستعمارية وانتهت بعد تحقيق الاستقلال الشكلي في النصف الثاني من القرن العشرين؟ وهل سيعترف بجرائمها التي لم تنته إلى اليوم في حق الإنسانية؟ كظواهر الاحتباس الحراري، وتوسيع ثقب الأوزون، ودفن النفايات النووية في البلاد الضعيفة، وتلوث البيئة والبحار، وتجارة الأسلحة، وتبسيط الأموال، وبيع المخدرات، والتجارة بالرقيق الأبيض، وبالأعضاء البشرية، ونشر الاباحية، وتعزيز ثقافة الفجور والفسق والإلحاد؟ وهل سيعترف بدعم الأنظمة الدكتاتورية بسلطها الأرعن على الشعوب العربية والإسلامية؟ هل سيعترف بما تأسى التي سببها



أساطينة الفكر الغربي ملجمًا
الكنسي الأسطوري ليختفوا
وراء عباءة الرب الذي قدم ابنه
فداء لما اقترفوه وما يقترفوه
وما سيقترفوه من جرائم في
حق الإنسانية عموماً، والعرب
وال المسلمين خصوصاً، أملين بهذا
الطرح الأسطوري حرمان العرب
وال المسلمين من فسحة للراحة
والطمأنينة والتنمية، التي ستتوفر
لهم مقومات الإقلاع الحضاري
الشاملة، في توليفة أسطورية
عجبية يلتجأون إليها في حال

تجمیع أدوات الغلبة والتمكن من

رقباب الآخر، حيث يسمح لهم
برکوب مطايياً الأسطورة والغيب

الكاذب، وحرمان الآخر من الغيب
الصادق الذي لا مراء فيه.

ولكن أما أن لأصحاب هذه

النظرية أن يضعوا حداً لأفكار
الدماء الزاحفة على الأرض،

وثقاقة القتل والتهيّك العشوائية،
وروح الاغتصاب والعنف

الدمويّة... تلك هي المشكلة
الأخلاقية التي يعانون منها، والتي

تتحمل نحن العرب والمسلمين
أوزارها الباهضة، وفي انتظار

عوده وعيهم، وتحقق رشدهم،
ماذا يجب علينا أن نفعله؟ سؤال

موجه لكم، ولأولي الأمر، وللنخب
الطلبيّة في الأمة، تحت أي

نظريّة تنطوي؟ وهل يقبل الآخر
عرضنا بطرح نظرية الاعتذار؟ أم

يرفضها كعادته؟

وفي انتظار كل هذا وذاك،
وفي ظل الصمت والتراخي

العربي والإسلامي الرسمي

والشعبي نيراً إلى الله من هؤلاء،
ولننقول على سواعدنا المؤمنة

لتقتيق أمل النجا في القلوب
والنفوس الطليعية المؤمنة،

«وليننصرن الله من ينصره إن

الله لقوى عزيز» (الحج: ٤٠).

الاحترام والاعتراف بحق الآخر
في عرض وجهة نظره العادلة،
نتساءل أخيراً من سيعرف بمن
ومن سيصالح من؟ ومن يعتذر
من؟ نحن أم أصحاب نظرية
الصراع الدامي.

وهل المطلوب منا اليوم أن
نتحمل أخطاء غيرنا النائمة في
أحضان التاريخ، وحمل أوزارهم
مع أوزارنا العديدة، إذ إن من
مبادرتنا نحو المسلمين مبدأ
تحديد المسؤولية الشخصية
لاستحقاق الثواب أو العقاب، فقد
زخر القرآن الكريم بمبادئ «ولا
تزر وازرة وزر أخرى» (الأنعام:
١٦٤)، و«تلك أمة قد خلت لها
كسبت لكم ما كسبتم ولا تسألون
عما كانوا يعملون» (البقرة: ١٤١)
غير ان الغرب لما فشل في تحقيق
نظرياته على أرضية الواقع بقوة
الحديد والنار والمال والاقتصاد
والثقافة والإعلام، لجأ لحيلة
تحديد الخطيئة وتحميل الأوزار،
انطلاقاً من تحيطاته العقدية عن

نظرية الفداء الإلهي الكاذب، التي
يحتمي بها، ويبيّنها الآخر باتزازاً
سخيفاً، وذلك بهدف وضع العرب
وال المسلمين في موضع المسؤولية
التاريخية عن كل ما وقع من
مأس للإنسانية، ما دام قد وجد

لدعم اليهود لاحتلال فلسطين
وطرد شعبها العربي المسلم
منها؟ هل سيعترف بنهب ثروات
الشعوب الضعيفة؟ إننا في عرضنا لكل هذا

لسنا في موضع اتهام للأخر،
كما اتنا لسنا في موضع دفاع
مبنيًّا أمام الآخر، ولكننا نمتلك
بأيدينا الكثير من الحقائق التي
تعزز موقفنا، وتأكيد نظرتنا
العادلة، ولنفترض جدلاً أتنا
استطعنا تجمیع المثال والألاف
من الاعترافات والشهادات
الصحيحة والصادقة عن
فضل حضارة العرب والمسلمين
وفضل دينهم على أمم وشعوب
وحضارات الأرض، هل سيكون
كافياً لردع صاحب الغي عن
غيه، وإرجاع الفضل لأصحابه،
ولو باعتراف الآخر به أدبياً
ومعنىًّا وأخلاقياً وحضارياً. هذا
ما لا اعتقاده أبنته بحكم معرفتي
وخبرتي بالصلف المرضي الذي
يحيى الغرب.

والخلاصة

وفي ظل حالة الانسداد
الفكري الراهن مع الغرب،
وأنعدام ثقافة الاعتراف بخطايا
الذات التاريخية لدى النخب
والطليعة الغربية، وغياب أدبيات